

# الدولة والسلطة

الإسلام الشيعي... آسنان السلطة والمرأة والجيوبيتك



إشراف وتقديم  
د. محمد أبو رمان

تحرير  
عبد الله محمد الطائي



مختبر  
السياسة والمجتمع  
Politics & Society Institute



## الطبعة الأولى

1444 هـ - 2022 م

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
(2022/8/4336)

306.2

محمدأمين، عبدالله محمدبشار  
الحووة والدولة .. الإسلام الشيعي، أسئلة السلطة والمرأة والجيوبيوليت  
عبدالله محمدبشار محمدأمين. - عمان: المؤلف، 2022  
(309) ص.  
ر.ب.: 2022/8/4336

الواصفات: الجغرافيا الإسلامية / الإسلام الشيعي / التعليم الديني  
الشعبي / الحركات السياسية / المرأة / العلاقات الأردنية الشيعية / علم  
الاجتماع السياسي /

\* يتحمّل المؤلف كامل المسؤلية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا  
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ISBN) 978-9923-00-457-9 (ردمك)

الناشر مؤسسة فريديريش ايبيرت، مكتب الأردن  
د. ماجد لينا كريتشنر، المديرة المقيمة لمؤسسة فريديريش ايبيرت - الأردن

مؤسسة فريديريش ايبيرت - مكتب عمان  
صندوق بريد: 941876 عمان 11194 الأردن  
البريد الإلكتروني: Amman@fes.de  
الموقع الإلكتروني: www.jordan.fes.de

## غير مخصص للبيع

مؤسسة فريديريش ايبيرت، مكتب عمان ©

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه أو استنساخه أو نقله كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطى مسبق من الناشر.  
الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر مؤسسة فريديريش ايبيرت أو المحرر. ويتحمّل كل كاتب مسؤولية ذاتية عما عبر عنه مضمون الجزء الذي كتبه.



9789923004579

إشراف وتقديم: د. محمد أبو رمان  
مراجعة وتحرير: عبدالله محمد الطائي  
تصميم الغلاف: رند فتيان  
التصميم الداخلي: ميساء هاشم

## **الحوّازات الدينيّة والتعليم الديني الشيعي**

### **من تراث الاستقلالية إلى التبعية السياسيّة**

**ساري حنفي**

تُعتبر الحّوازات الدينيّة أهم المؤسسات التعليمية التي يتدرّب بها خطباء الجامع الشيعي وكذلك للتعليم الديني للخاصة ولعموم المؤمنين الشيعة.<sup>(1)</sup> في هذه الورقة سأقوم بتوسيف هذه الحّوازات ومناهجها مع التركيز على تفاعل المواد الشرعية مع الفلسفة وعلوم الاجتماع، وكيف تطورت استقلاليتها وعلاقتها الحاليّة مع الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، بين جدلية المركزية واللامركزية.

#### **أولاً. تطوير الحّوازات: جدلية المركزية واللامركزية**

تاريجياً اتسمت الحّوازات بعراقتها، كما هي المدارس القرآنية، وباستقلالية نسبية عن المؤسسة السياسيّة. وتعتبر الحّوزة العلميّة النجفية هي العاصمة العلميّة الدينية التاريخيّة للنظام الاجتماعي الديني الشيعي العالمي، منذ (1000) عام تقريباً؛ فقد أخذت موقعها هذا بعد العام 1038 على يد زعيم الشيعة في وقته الشيخ محمد بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة<sup>(2)</sup>. وكانت تاريجياً منارة لجميع طالبي العلم في العالم والمنتسبين للطائفة الشيعية. وحسب علي المؤمن، فقد كان عدد منتسبي حّوزة النجف يبلغ في العام 1967 حوالي (16) ألف طالب وأستاذ،

---

(1) وفقاً لفراس الناصر (2022)، يقدر عدد الطائفة الشيعية من 150-200 مليون شخص حول العالم، أي ما يقدر بنحو 10-13% من إجمالي عدد المسلمين في العالم.

<https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/4/21>.

(2) المؤمن، علي (2021) «الحّوزة العلميّة الشيعيّة بين النجف وقم»، 4 آب 2021، الشفق.  
<https://shafaq.com/ar/>

وانخفض هذا العدد إلى (500) فقط في العام 1991، بسبب قمع نظام البعث في العراق لها، ليعود العدد بالارتفاع بعد التخلص من هذا النظام ليصل في العام 2020، حوالي (15) ألف طالب وأستاذ.

أما ثاني أقدم حوزة فهي الحوزة العلمية في قم في إيران والتي تعود جذورها إلى القرن التاسع الميلادي في عهد مرجعية زعيم الشيعة في وقته الشيخ محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق<sup>(1)</sup>. وبلغ عدد منتسبي الحوزة العلمية في قم في العام 2020 حوالي (140) ألف طالب و(10) آلاف أستاذ تقريرياً. كما بلغ عدد المجتهدين فيها وحدها حوالي (250) مجتهدأً أو من يرى في نفسه ملكرة الاجتهداد، بينهم ما يقرب من (100) مجتهد يدرسون البحث الخارج (الدراسات العليا)؛ أي أن هناك (100) صف للبحث الخارج تقريرياً في قم وحدها. ومن بين الأجانب إنه (350) ألف الذين يسكنون في قم، هناك (50) ألف شخص ينتسبون إلى الحوزة العلمية. وإضافة إلى الحوزة العلمية في قم؛ هناك ثلاث حوزات علمية كبيرة في مشهد وأصفهان وطهران، يصل عدد منتسبيها إلى (90) ألف طالب وأستاذ. وكذلك توجد (650) حوزة متوسطة وصغيرة، تضم (2000) مدرسة دينية في (650) مدينة إيرانية، يبلغ عدد منتسبيها (60) ألف شخص. وهناك حوالي (30) صفاً للبحث الخارج في حوزات مشهد وطهران وأصفهان والأهواز وشيراز وتبريز. وبذلك يصل العدد الإجمالي لمنتسبي الحوزات العلمية الإيرانية، بما فيها حوزة قم، ما يقرب من (300) ألف طالب وأستاذ<sup>(2)</sup>.

أما في لبنان، فقد برزت الحوزة العلمية في جبل عامل بلبنان مع مرجعية الشيخ محمد بن مكي العامل (1385) المعروف بالشهيد الأول.

(1) آل قاسم، عدنان فرحان (2016)، «تاريخ الحوزات العلمية عند الشيعة الإمامية»، ج. 6. بيروت: دار السلام.  
 (2) (2021 المؤمن).

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، شهد جبل عامل نهضة علميةً انعكست على المدرسة الدينية من خلال تطوير أساليب التدريس وطرق التفكير. وقد أنشئت 15 مدرسةً في جنوب لبنان فقط، حيث يمكن للطالب المستطيع بعد الانتهاء من المراحل الدراسية الأولى أن يذهب إلى العراق لمتابعة دراساته العليا في حوزات النجف الأشرف. وقد تخرج في النجف الأشرف كبار العلماء اللبنانيين الذين عرّفوا شهادة عربية وإسلامية. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، تصاعدت الصحوة الإسلامية لدى شيعة لبنان، التي أسسها الإمام موسى الصدر منذ ستينيات القرن العشرين. ومنذ منتصف الثمانينيات جرى تأسيس عدد جديد من الحوزات الدينية، أبرزها: حوزة الرسول الأكرم في حارة حرثيك برعایة إیرانیة، والمعهد الشرعي الإسلامي برعاية العلامة محمد حسين فضل الله، وغيرهما من الحوزات. ويمكن للمتخرجين إكمال تعليمهم في مدينة قم أو الالتحاق بجامعة المصطفى الإيرانية.<sup>(1)</sup> ويبلغ عدد الحوزات اليوم في لبنان بحدود الثلاثين حوزة منها الصغيرة ومنها الكبيرة.<sup>(2)</sup>

لقد خرجت الحوزات الكثير من خطباء الجمعة، ولكن لا تتوافر لدينا معلومات إحصائية دقيقة. وتخرج بعضهم في العراق أو في مدينة قم في إيران، وتخرج آخرون في لبنان في الدراسات الدينية في الجامعات (وأحياناً دراسات القانون أو العلوم الأساسية). والذين يتدرّبون في الحوزات الدينية فلأغلبهم العظمى شهادة البكالوريوس، وذلك يعود إلى الاتفاقيات المبرمة بين الحوزات في لبنان والجامعات، مثل الجامعة الإسلامية في لبنان؛ ومن ثم يحصل طلاب الحوزة على شهادة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية. وكما أشرنا، فإن الحوزات مؤسساتٌ مهمّة جدًا في تخرج الخطباء.

(1) لمزيد من التفاصيل، انظر إلى هيثم مزاحم (2018) «الحوزات الشيعية في لبنان تتأرجح بين المنهجين التقليدي والأكاديمي»، على الرابط: <https://cutt.us/uUM1F> - Kassem 2018

(2) Kassem, Ali. 2018. "The Modernization of the Hawza? Lebanon as a Case Study." *Contemporary Arab Affairs* 11 (4): 83–110.

تارِيخياً، الأمور الماليّة المتعلّقة بالحوّازات مستقلةٌ عن الدولة، فنظام الخُمس يوفر لهم دخلاً مباشراً، كما أنَّ الحوزات الدينيّة مستقلةٌ أيضًا، على الرُّغم من علاقتها القويّة بالمراجع الدينيّة في إيران (مباشرة أو من خلال حزب الله) في المقام الأوّل، ومن ثُمَّ العراق. يُضاف إلى ذلك أنَّ المشايخ الشيعة يحصلون على تمويلٍ من التعليم الخاص والكتابة والظهور الإعلامي.

## ثانياً. المناهج

وفقاً لمتحدة<sup>(1)</sup>، يتهيكل التعليم في المدارس الدينيّة الشيعيّة تارِيخياً على الشكل التالي: يبدأ كل طالب بـ «المقدّمات» حيث يتم تناول اللغة العربيّة والمنطق واللاهوت. بعد هذه الفترة، ينتقل الطالب إلى «سطوح»، حيث يتّعلّمون دليلاً عملياً في القانون صادر عن أحد المرجع الشيعيّة المشهورين في عصرهم، ويكمّلهم بعدد من كتب الفقه. يبدأ الطالب بعد ذلك في أخذ أصول الفقه، وهي الفرضيات التي يقوم عليها تكوين الآراء القانونيّة الدينيّة. الحساب وكذلك نظام نقل الأحاديث مغطاة أيضاً في هذه المرحلة. بالإضافة إلى ذلك، يتم تخصيص وقت كبير للفلسفة. أخيراً، يدخل الطالب مرحلة «البحث الخارجي»، حيث يتم مناقشة موضوع معين ومناقشته حجه والحجج المضادة بشكل منهجي من قبل الحلقة الدراسية. في هذا النّظام الدراسي الحوزوي يطوي الطالب الكفوء إذاً مستويات عدّة ليصل في نهاية المطاف إلى مرحلة الاجتهداد. وتستمر هذه المراحل الثلاثة بين ثمان وتسعة سنوات، غالباً ما تبدأ بحدود الساعة التاسعة حتى الحادي عشر صباحاً، بحيث تمكن الطالب من متابعة شؤون حياتهم الأخرى بما فيها كونهم طلاب جامعات يدرسون الاختصاصات العلمية.

---

(1) Mottahedeh, R. 2016. "The Najaf Hawzah Curriculum". Journal of the Royal Asiatic Society 26: 51–341.

تاريجياً، كان الطلاب يجلسون في حلقة مع أستاذهم ولكن الآن أغلب الحozات الكبيرة تستخدم المقاعد كما هي عليه المدارس والجامعات الحديثة.

من بحث ماجستير قام به علي قاسم وقمت بالإشراف عليه والمشاركة في المقابلات في الحozات، وجدنا في بعض الحozات الكبيرة تدرس بعض مواد مقررة غير الشرعية وأقرب إلى العلوم الإنسانية (تاريخ، جغرافيا، فلسفة، لغات، أخلاق) منها إلى العلوم الاجتماعية. ولكن نسبة محدودة وهي لأقل مما وجدناه في كليات الشريعة في الجامعات اللبنانية.<sup>(1)</sup> ولكن لا يعني هذا على الإطلاق التفاصيل بين هذه العلوم ودعم العلوم الإنسانية والاجتماعية لل الفكر النقدي الكفيل بتطوير فقه الواقع باستخدام مناهج العلوم الاجتماعية ونظرياتها وتقنياتها البحثية، وهي نتيجة توصل لها أيضاً المرحوم عبد الغني عmad<sup>(2)</sup>. وإذا قارنت بين مقابلاتي في الحozات الدينية الشيعية والجامعات السنّية، فمن الملاحظ وعي الأولى بأهمية العلوم الاجتماعية، حيث سُئلت عن المناهج والكتب المدخلية لهذه العلوم أكثر من الثانية.

وهذا اتجاه عام ليس فقط في لبنان ولكن في دول أخرى كإيران. تبيّن سارة شريعتي أن حozات مدينة قم قد أبقت على الفلسفه بينما حذفت علوم الاجتماع والنفس والسياسة من مناهجها حتى عام 2013 عندما فُتح فرع جديد سُمي بعلم الاجتماع الإسلامي<sup>(3)</sup>. وكل ذلك على

(1) وتحتختلف نسبة تدريس هذه المواد: ففي حين لا تُدرس جامعة بيروت الإسلامية أيَّ مواد في العلوم الاجتماعية، تُدرس كلية الإمام الأوزاعي 12 مادةً في العلوم الإنسانية والاجتماعية من أصل 40 مادةً مطلوبة. وفي المقابل، تُدرس كلية الدعوة في سنواتها الأربع تسعة مواد في العلوم الاجتماعية من أصل 65 مادةً.

(2) عmad، عبد الغني. 2019. «حراس الدين في مجتمع متعدد: التعليم الديني وتدريس الشريعة في لبنان». بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

(3) مقابلة معها في كانون الثاني/يناير 2013.

الرغم من أن الثورة الإيرانية قد اضطرت للتعامل مع قضايا معقدة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتي يلعب فيها رجال الدين دوراً رئيسياً. يكفي أن نحلل سيميائياً الوجود الكثيف للعباءات في البرلمان الإيراني. وقد كشف كمال الحيدري (أستاذ الفلسفة الإسلامية في الحوزة العلمية بقم) عن تعقيدات تجربة التغيير في إيران، فقال: «عندما جئنا إلى الحكم الإسلامي وواجهنا مشاكل يجب أن نجيب عليها، وجدنا ذلك الفقه الموجود بين أيدينا، لا أقول لا يستطيع مطلقاً، لكنه في كثيرٍ من الموارد لا يستطيع الإجابة على هذه المسائل»<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً. مرجعية الحوزات وعلاقتها الحالية مع إيران

منذ انطلاق الثورة الإيرانية، بدأت الحوزات تخسر من استقلالها التاريخي عن السلطة السياسية بتأثير التمويل الإيراني ولكن أيضاً التأثير السياسي من خلال أحزاب محلية موالية للجمهورية الإسلامية الإيرانية (حزب الله، الحوثيين، الحشد الشعبي، ..إلخ). ففي بلد مثل لبنان حيث يتمتع المرجع السيد حسين فضل الله بحضور بارز في الساحة الشيعية واكتسب شهرةً واسعةً بفضل اجتهاداته وكان لمعهده الشرعي (أي حوزته) حضوراً بارزاً، أصبح دوره هاماً شيشياً بسبب شعور السلطات الإيرانية بمنافسته لمرجعيات مدينة قم. وفعلاً تم «تفيره» من بعض المتطرفين من رجال الدين الإيرانيين عندما أعلن أنه أصبح مرجعاً دينياً. اليوم يعتبر المعهد الشرعي حوزة متوسطة مقابل حوزة الرسول الأكرم والتي تتمتع ليس فقط بتمويل إيراني ولكن أيضاً بإدارة مختلطة إيرانية-لبنانية. سأستحضر هنا عاملين لعبا دوراً ضعف استقلالية الحوزات والقضاء الديني الشيعي في الدول العربية، وهما: جامعة المصطفى العالمية الإيرانية شكل خاص، والحوّازات والحسنیات ضمن مشروع سياسي إمبراطوري إيراني بشكل أعم.

(1) أحمد بوغود، فقه الواقع : أصول وضوابط (دار السلام للطباعة والنشر، 2006).

## دور جامعة المصطفى الإيرانية

قامت جامعة المصطفى العالمية المفتوحة بمؤسسة للحووزات التي ترغب الحصول على الدعم من السلطات الإيرانية. وتعرف هذه الجامعة نفسها على أنها مؤسسة تعرف نفسها على أنها «علمية ثقافية دولية» تعنى بنشر العلوم الإسلامية والإنسانية والاجتماعية وهي تكرّس التقنيات الحديثة في الفضاء الإلكتروني في سبيل إتاحة فرصة دراسة العلوم الإسلامية والإنسانية لجميع الراغبين فيها من أرجاء العالم على اختلاف المذاهب والقوميات والأقاليم والجنس بغية تخريج علماء وخبراء متاحلين بالتقوى والكفاءة، حريصين على بيان ونشر الإسلام المحمدي الأخيل، ليُرْغَد العالم من خلال ذلك بصفي معين المعارف الإسلامية وهدي القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام)».

تتّبع الدراسة في جامعة المصطفى الأخيل أسلوبين: قصير الأمد وطويل الأمد، وتشمل الدراسة طبقة الأمد نظامين: الحوزوي (المستويات) والأكاديمي (المراحل)، وكل منها نمطان: مباشر وعن بعد.

وهناك أيضًا نظام المراحل المعتمول به في جامعة المصطفى الأخيل إلى جانب النظام الحوزوي؛ إذ يختار الطالب في هذا النظام مراحل الدبلوم والبكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الفروع العلمية الإسلامية وفروع العلوم الإنسانية-الإسلامية، ليحصل في نهاية المطاف على شهادة رسمية معترف بها من قبل جميع المراكز العلمية المعترفة في العالم.

ويبينما تخصص هذه الجامعة بعلوم الشرع نجد بعض التخصصات في العلوم الاجتماعية كماجستير علم الاجتماع الثقافي. انظر إلى مناهج الجامعة في الملحق.

وأثر هذه الجامعة والحووزات التابعة لها يتجاوز الطلاب الذين يستطيعون الحضور بها. فهناك وفقاً لدراسة قيمة لعلي المؤمن «ما يقرب من (150) ألف طالب في داخل إيران ودول العالم المختلفة، يدرّسون عبر

النواخذ الإلكترونيّة، بينهم (45) ألف امرأة. وتتمركز أغلب الحوزات والجامعات الدينية الناشطة في العالم الافتراضي في مدينة قم وتتبع حوزة قم، وجامعة المصطفى. ولذلك، تحظى دراساتها بالاعتراف؛ لأنّها تخضع للمناهج والضوابط المعمول بها في الحوزة نفسها». <sup>(1)</sup>

طبعاً ليست هذه الجامعة وحدها من مؤسسة الحوزات في إيران (وبالتالي في العالم الشيعي)، حين عدد على المؤمن (2021) أربع إدارات رأسية مركبة، تدير جميع مدارس الحوزة القمية وجامعاتها ومؤسساتها وفروعها، هي:

1. مجلس إدارة الحوزة العلمية في قم، ويشرف على الدارسين الإيرانيين.
2. جامعة المصطفى العالمية، وهي خاصة بالدارسين غير الإيرانيين.
3. مركز مديرية الحوزة العلمية النسائية، وهي خاصة بالنساء.
4. مجلس إدارة الحوزات العلمية في إيران، ويشرف على الحوزات العلمية المتوسطة والصغريرة في أنحاء إيران كافة.

وهناك مشاريع كثيرة من قبل هذه المؤسسات الإيرانية لربط الحوزات مع بعضها، كمشروع الموقع الإلكتروني <sup>(2)</sup> الذي يستحضر أخبار الحوزات في العالم بخمس لغات: الفارسية، والعربية، والفرنسية، والإنجليزية والأوردو.

**الحوّازات والحسنیات ضمن مشروع سياسي امبراطوري إیرانی**  
في ظل المنافسة بين دول الخليج وإيران للسيطرة ثقافياً ودينياً في المنطقة العربية، تصرف إيران بصفتها امبراطورية لها سمات متعددة:

(1) (المؤمن 2011).

(2) <https://ar.hawzahnews.com/>

الحافظ على المركز (دولة إيران)، هوية إسلامية تهتم بقضايا إسلامية قضية الاستعمار الصهيوني لفلسطين، وهوية شيعية للمحافظة على المذهب الشيعي والحرص على نشره في العالم وخاصة في الأطراف، ونظام سياسي استبدادي حيث لا يتمتع بمبادئ الديمقراطية وفلسفتها، أي مجرد ديمقراطية إجرائية بدون حريات للتعبير والترشح وتشكيل أحزاب سياسية. وقد بدا ذلكوضوحاً في تصيرفاتها الامبراطورية من موقفها من دول الأطراف في الفضاء الامبراطوري وخاصة بعد الربيع العربي. فهي مع الحلفاء لها ولو كانوا مستبدین (بشار الأسد مثلاً)، وتقاطع هذه الأجندة بوضوح مع أجندة دول الخليج التي لعبت دوراً حاسماً بالثورات المضادة في مصر، ولبيبا والبحرين واليمن. ولكن فيما يتعلق بموضوع هذه الورقة سأركز على كيف تستخدم إيران التشيع من أجل أهداف سياسية بعضها داعم لقضايا نبيلة مثل دعم حركة التحرر الفلسطيني، ولكن بعضها الآخر ثورات مضادة لمشروع الانتقال الديمقراطي في الأطراف.

دعوني أن أوكد بالبداية أن من حق أي مجموعة دينية أو سياسية دينية أن تدعو الناس لتغيير دينهم أو مذهبهم طالما تم ذلك بالإقناع وليس بالإجبار. ولذا إشكاليتي ليست هنا، ولكن كيف يستخدم ذلك كجزء من هندسة ديمغرافية استبدادية تطمح لدعم الأجندة السياسية الإيرانية. قبل تناول العالم العربي كصفته أطراف في الإمبراطورية الإيرانية، ويجب التأكيد أن ذلك يتتجاوز هذه المنطقة، فالوجود التشيعي الإيراني في أفريقيا، مثله مثل السلفية الوهابية، ساهم من خلال التنافس السياسي والديني بينهم إلى خلق صراعات عنيفة في كثير من الدول مثل الغابون في فضاء إسلام محلي سلمي (ذات طابع غالباً صوفي) متوازن مع البيئة الإفريقية بما فيها من تعددات عرقية ودينية وثقافية.

نأتي الآن إلى بلد عربي كسوريا حيث بدأت تنشط الجوزات والحسينيات في كل مناطق النظام السوري بغض النظر إن كان هناك سوريون شيعة أم لا. ويتزامن ذلك مع تغيير ديمغرافي وعمليات تجنیس

مكثفة لعرب وأجانب شيعة. وطبعاً تقوم السلطات الإيرانية بذلك بالتزامن مع جهود لنظام السوري للاعتراف الرسمي بالمذهب العلوي باعتباره جزءاً من المشهد المذاهبي في سوريا. وللمعلومات أنا لست ضد ذلك، فهناك ضرورة للاعتراف بحق كل المعتقدات بما فيها حرية الضمير. ولكن ما يحصل هو جزء من هذه الهندسة الديمغرافية الاستبدادية.

وكما أكد أنتونيا روبيسون فإن نظام الأسد قد نجح في إضفاء الطابع الأمني على الهويات الطائفية في المراحل الأولى من الانتفاضات، وفي تحويل الصراع إلى حرب أهلية ذات بعد طائفي مفرط. وقد استخدم النظام سردية حمايته الأقليات، مثيراً عن عدم المخاوف من بديل الحكم «العلوي». من خلال اللعب على المخاوف الموجودة من قبل، مثل انعدام الأمان، والمتأصلة بعمق في تاريخ الطائفية في سوريا، تمكّن النظام من حشد قاعدة دعم وتبرير حملته القمعية، وإضفاء الطابع الأمني على اندلاع الانتفاضة وتطورها. وقد عزز الداعمون الإقليميون الرئيسيون للأسد، إيران وحزب الله اللبناني، أمننة الأسد، من خلال رفع مكانة الصراع الداخلي إلى مشكلة أمنية إقليمية في المنافسة السنّية الشيعية الأوسع.

لقد بدأت العلاقة المميزة بين النظام السوري ونظام الجمهورية الإسلامية، منذ الأيام الأولى لقيامها، وعلى الرغم من وقوف حافظ الأسد إلى جانب إيران في الحرب مع العراق، الذي كان يقوده القسم الثاني من حزب البعث ذاته، فإن حافظ الأسد حرص علىبقاء نوع من التوازن في علاقته بالأنظمة العربية، وبخاصة السعودية، ومن جهة أخرى، كان حريصاً على ألا يكون لإيران تأثير في الداخل السوري، غير أن هذا التوازن بدأ بالاختلال، بعد تولي بشار الأسد السلطة التي ورثها عن والده؛ إذ بدأ تأثير إيران بالتغلغل في داخل المجتمع السوري، وبدأ نشاط التشيع وإقامة الحسينيات، ولكنها ظلت محدودة؛ إذ كان النظام يخشى ردة فعل

مجتمعية وعربية، غير أن تأثير إيران في أوساط الضباط العلوبيين، في الجيش والأمن، كان ينمو بالتدريج<sup>(1)</sup>.

في هذه الصيغة مابعد الإنفراط السوري، ازدادت عمليات التشيع ضمن مشروع ديمغرافي سياسي. ووفقاً لخالد سنداوي، مستنداً على دراسة الاتحاد الأوروبي، فإن الحالات المعروفة للسنة الذين تشييعوا لا يمكن أن يُعزى تشيعهم لأنسباب اجتماعية أو اقتصادية عادلة وطبيعية في أي من الطوائف؛ ففي دمشق، على سبيل المثال، ينتمي 4,64 في المئة من المتحولين للمذهب الشيعي إلى أسر ذات مداخل متوسطة.

ولقد كان في سوريا معهدان شرعيان مهمان: معهد الفتح الإسلامي<sup>(2)</sup>، وهو مؤسسة إسلامية علمية إصلاحية ثقافية خيرية، أسسها الشيخ محمد صالح الفرفور عام 1956، ومجمع الشيخ أحمد كفتارو (شيخ الطريقة الصوفية النقشبندية) الذي أسسه الشيخ عام 1975<sup>(3)</sup>. وعلى الرغم من قرب الشيشين الفرفور وكفتارو من النظام السوري، فلم يُعرف رسمياً بمعهديهما إلا في عام 2011، أي بعد بدء الثورة السورية، تحت مظلة «معهد الشام العالي للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية» بمدينة دمشق، مع إلحاقه بوزارة الأوقاف، ليضم بالإضافة إلى هاتين المؤسستين: مجمع السيدة رقية، الذي كان سابقاً مجرد حوزة تدرس الفقه الشيعي لتصبح معهداً<sup>(4)</sup>. وقد عُد ذلك نوعاً من أنواع إضفاء الشرعية على مجمع السيدة رقية. على الصعيد ذاته، يعتبر

(1) روبسون أنتونينا (2021) «تبني الهويات الطائفية في الحرب السورية» موقع حرمون، 20 أيلول/سبتمبر 2021. <https://www.harmoon.org/researches/>

(2) يضم المعهد: كلية الشريعة والقانون، وكلية أصول الدين والفلسفة، وكلية اللغة العربية، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية.

(3) المسماً سابقاً «مجمع أبي النور»، ويضم المجمع حالياً: كلية الدعاة والدراسات الإسلامية، وكلية أصول الدين، وكلية الشريعة والقانون.

(4) يشمل: كلية أصول الدين، وكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكلية الشريعة.

خبراء ومحلون أن قرار الرئيس السوري بشار الأسد أيضًا إلغاء منصب المفتى العام مؤخرًا، وإحالته مهامه إلى المجمع العلمي الفقهى المتعدد الطوائف، ينضوي في نفس إطار التمدد الشيعي، ويُخفى في طياته مخططاً لإعادة رسم المشهد الديني في سوريا.<sup>(1)</sup>

وهناك محاولات إيرانية على الخيف في بعض الدول العربية الأخرى، حيث شهد خليطاً بين التشيع السياسي والديني والثقافي. وفي سياق البحث عن إطار ثقافي، تأسست بعض الجمعيات الثقافية ذات النفس الشيعي، كجمعية الغدير للأعمال الثقافية والاجتماعية بمكناس، والتي كان على رأسها حسن هاني شقيق إدريس هاني صاحب الكتابات التنظيرية للحالة الشيعية الفكرية في المغرب، إلا أن نشاطها توقف لأسباب غير معروفة، وجمعية «أنوار المودة» في طنجة، وجمعية «اللقاء الإنساني» في وجدة، غير أن السلطات لم ترخص للجمعيات الأخيرتين، بالإضافة إلى جمعية «البصائر» وجمعية «التواصل» اللتان ترکزان في برامجهما على الأنشطة الثقافية. وخلافاً لسنة 2006 و2007، فقد عرفت سنة 2008، عرفت انكماساً كبيراً على مستوى الحضور الثقافي لهذه الجمعيات، وبعضها توقف عن النشاط، من غير تبرير للموقف، و يبدو أن تأكيد أعلى سلطة في البلاد على مركزية التصدي للتّشيع في خطوة إعادة هيكلة العقل الديني بصيغتها (2004، 2008) دفعت القائمين على هذه الجمعيات إلى تغيير الاستراتيجية لجهة مراجعة خيار العلنية في هذه المرحلة، وتبني خيار السرية.<sup>(2)</sup>

(1) <https://www.trtarabi.com/issues/>

(2) ومع قطع علاقات المغرب مع إيران سنة 2009، على خلفية مزاعم بتورط مدرسة عراقية في الرباط في تلقين الأطفال مبادئ التشيع، تعزز منطق الانكفاء لدى الحساسيات الشيعية، خاصة لما تم الإعلان تحصين لأمين الروحي والوحدة المذهبية ومواجهة التشيع ضمن أولويات العقل الديني بالغرب، وبدأ التفكير عن بعض رموزها في مد جسور اللقاء مع اليسار، والانعطاف نحو المسألة الحقوقية وبشكل خاص حرية المعتقد والأقليات الدينية في المغرب، وذلك بهدف البحث عن نافذة أخرى للاشتغال، ومحاولة تحصين أفراد هذه الحساسيات من التعقب الأمني. (عربي 21، 2019). <https://arabi21.com/story/>

أما في العراق فعلى الرغم من وجود حوزة النجف، فتحاول إيران السيطرة عليها بطرق مباشرة وغير مباشرة. وبعد سقوط صدام، وفقاً إلى علي المعموري<sup>(1)</sup>، انتقل القلق من قم إلى النجف، حيث بدأت إيران بضمّ أموال هائلة في النجف وبعثت عدد من ممثلي حوزة قم للنجف للتأثير في سياقاته الاجتماعية والفكرية المحافظة وبناء جيل جديد من العلماء متافقين مع رؤية قم السياسية الموالية لفكرة ولادة الفقيه. وفتح خامنئي مكتباً رسمياً في النجف وبدأ يصرف رواتب عالية للطلاب، وعين خامنئي الشيخ محمد مهدي الأصفي ممثلاً رسمياً له في النجف وقام الأخير بفتح مكتبه الرسمي قريباً من بيت السيد السيستاني ما أثار حفيظة الأخير مما أدى إلى تغيير المكان والتقليل من حجم فعاليات مكتب الخامنئي<sup>(2)</sup>. وأيضاً هناك محاولات إيرانية للتخطيط لمرجعية ما بعد السيستاني بدعم شخصيات موالية لها. والتنافس هنا على مستويين: المستوى الأول السياسي، حيث يعتبر الوسط المحافظ في النجف أن خريجي قم يهتمون إلى الأمور الدينية كثيراً ولهم مطامح سياسية وهم أقل درجة فقهياً ودينياً من أمثالهم النجفيين. والمستوى الثاني قومي، حيث هناك تنافس بين العلماء النجفيين من أصول عربية مع من هم من القومية الإيرانية، ولكن يبقى ذلك أقل أهمية من المستوى الأول.

(1) المعموري، علي (2013) «قم والنجف: قلق متبادل وتنافس في الزعامة». المونيتور. 17 مايو 2013.  
<https://www.al-monitor.com/ar/contents/articles/originals/2013/05/qom-najaf-anxiety-competition-shiite.html#ixzz7XuGOPMMw>.

(2) المصدر السابق.

#### رابعاً. الخاتمة

لا تختلف الحوزات الشيعية كثيراً عن المدارس القرآنية السنّية في تعدد مشاريبها المرجعية ومدارسها الفكرية إلا أن هذا التنوع قد ضاق لدرجة كبيرة تحت تأثير المؤسسة الممولة بشكل أساسي من إيران. وبشكل أعم، يتجازب الوعي الشيعي المعاصر قناعات متعارضة وتوجهات متباعدة، تصل في عمقها إلى حقيقة التشيع نفسه والنظرية المستجدة إلى دور الفقيه. وحسب الفيلسوف اللبناني وجيه قانصوه، ولد جدلاً عميقاً داخل المؤسسة الفقهية الشيعية. فحين استجابت حوزة قم إلى المهمة الجديدة، وبات اجتهدادها الجديد يرتفع ضرورات الدولة الدينية في إيران، حافظت النجف على موقفها التقليدي، باعتبار المجال العام خارج تخصصاً لا تخصيصاً من دائرة نشاط المؤسسة الدينية، وحصر دورها في رعاية الوظائف الدينية الشخصية داخل الجماعة الشيعية<sup>(1)</sup>. وقد تحول تأثير حوزة قم على الحوزات في لبنان أكثر بكثير من حوزات النجف.

والتأثير الإيراني ليس فقط سياسياً ولكن كما يبينا على مضمون بعض المناهج المدرسة في الحوزات وخاصة المواد المتعلقة بالإنسانيات والعلوم الاجتماعية.

وهكذا تبقى رهانات التأثير الإيراني ومؤسسة الحوزات مفتوحة. ويتوقع على المعموري<sup>(2)</sup> أن يؤدي الخلاف بين قم والنجف إلى «انشقاق أكبر [...] مما سينتهي إلى تأسيس قطبين مستقلين للشيعة من شأنه أن يؤسس قراءتين مختلفتين تماماً عن التشيع في المستقبل غير البعيد، حيث يلعب العامل السياسي والاجتماعي دوراً حاسماً في ذلك». وما زالت الضبابية قائمة بشأن مفهوم ولادة الفقيه و«المرجعية الدينية» التي تقود الطائفة الشيعية.

(1) <https://janoubia.com/04/01/2021>

(2) المعموري، علي (2013) «قم والنجف: قلق متبادل وتنافس في الزعامة». المونيتور. 17 مايو 2013.

**خامساً. الملحق****أ) جدول الدروس الحوزوية العامة (فرع علم الاجتماع والثقافة)**

التفاصيل	التمهيدية	الساعات			عدد الوحدات	عنوان الدرس	الترتيب
		المجموع	النظرية	العملية			
		-	48	48	3	الفقه (1)	1
	الفقه (1)	-	32	32	2	الفقه (2)	2
	الفقه (2)	-	32	32	2	الفقه (3)	3
		-	48	48	3	الأصول	4
		-	32	32	2	الكلام المقارن (1)	5
	الكلام المقارن (1)	-	32	32	2	الكلام المقارن (2)	6
		-	32	32	2	الفلسفة الإسلامية (1)	7
	الفلسفة الإسلامية (1)	-	32	32	2	الفلسفة الإسلامية (2)	8
	الفلسفة الإسلامية (2)	-	32	32	2	الفلسفة الإسلامية (3)	9
		-	320	320	20	المجموع الكلي	

**ب) جدول الدروس الحوزوية التخصصية (فرع علم الاجتماع والثقافة)**

التفاصيل	التمهيدية	الساعات			عدد الوحدات	عنوان الدرس	الترتيب
		المجموع	النظرية	العملية			
	-	32	-	32	2	الأساليب والمناهج التفسيرية	1
	-	32	-	32	2	التفسير الموضوعي (المجتمع والقرآن)	2
	-	32	-	32	2	القرآن والعلوم (مع التأكيد على العلوم الاجتماعية)	3
	-	32	-	32	2	القرآن والثقافة المعاصرة	4
	-	32	-	32	2	فقه الحديث (مع التأكيد على نهج البلاغة وسائر الروايات الاجتماعية)	5
	-	32	-	32	2	علم الحديث (التاريخ، والرجال، والدرایة)	6
					12	المجموع الكلي	

**ج) جدول الدروس التخصصية لفرع علم الاجتماع والثقافة في دورة الماجستير**

التفاصيل	المتميزة	الساعات			عدد الوحدات	عنوان الدرس	الترتيب
		العملية	النظرية	المجموع			
		-	32	32	2	علم الاجتماع التكنولوجي	1
		-	32	32	2	علم الاجتماع المعرفة	2
بالمقارنة مع سائر الحضارات		-	32	32	2	علم اجتماع تاريخ الحضارة الإسلامية	3
الاعتقادات، والقيم، والتقاليد		-	32	32	2	علم الاجتماع الثقافى	4
		-	32	32	2	علم اجتماع الفنون الأدبية	5
		-	32	32	2	الأنتربولوجيا الثقافية (علم الأعراق البشرية)	6
		-	32	32	2	علم اجتماع العلاقات العامة	7
		-	32	32	2	علم الاجتماع الديني	8
اللغة						النظريات الثقافية	9
التخصصية او (وحتى دراستين)		-	32	32	2		
المقارنة بين الثقافة الإسلامية والغربية: العلمانية والإسلام		-	32	32	2	مباني الثقافة في الآيات والروايات	10
		-	32	32	2	علم الاجتماع التربوي والتعليمي	11
		-	32	32	2	علم الثقافة المقارن	12
		-	32	32	2	علم اجتماع المناسخ الدينية والفرق	13
		-	32	32	2	توسيعة وتغيير الثقافة من وجهة نظر الإسلام	14
		128	-	128	4	رسالة الماجستير	15
		128	448	576	32	المجموع الكلي	